Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية المجلد12،العدد1 2025

جدلية الماضي والحاضر في رواية "الجازية والدراويش" لعبد الحميد بن هدوقة

The dialectic of the past and the present in the novel “Jazia and the Dervishes” By Abdul Hamid bin Hadouqa

محمد حكيمي [*] [(1)]

المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة، (الجزائر)

hakimi.mohamed@cu-tipaza.dz

خديجة بن الأبقع [(2)]

جامعة عمار ثليجي بالأغواط، (الجزائر)

k.benlabga.ar@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال:2025/03/03	تاريخ القبول:2025/05/23	تاريخ النشر:2025/06/07

الملخص :

اعتلى عبد الحميد بن هدوقة سدة الكتابة الروائية في الجزائر في فترة حساسة من تاريخ الأمة الجزائرية، فأخذ على عاتقه مهمة إعادة تشييد الوحدات الاجتماعية والثقافية ومظاهرها من عادات وتقاليد وتاريخ ودين ومعتقد ومخيال أسطوري وشعبي وثقافي في رواياته ليشكل لنا صورة تحفظ تاريخ هذه الأمة، مصورا لها في لحظة زمنية فارقة كانت تحتاج إلى توثيق ومعالجة لما يعتريها من تشوه، ثم تجاوز منطق هذه المرحلة إلى ما يليها على سبيل تقديم حلول استشرافية في شكل جدليات ثنائية سردية جسدتها رواية "الجازية والدراويش" حسب ما توضحه هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الرواية؛ الواقع؛ الماضي؛ الحاضر؛ العميل؛ الواقع؛ الميثولوجيا؛ الوطن.

* المؤلف المرسل: محمد حكيمي hakimi.mohamed@cu-tipaza.dz

Abstract:

Abdelhamid Ben Hadouga is considered among the pioneers in Algerian narrative writing during a critical period in the history of the Algerian nation. He undertook the task of reconfiguring social and cultural units and their manifestations of customs, traditions, history, religion, mythical imagination, popular culture in his novels to provide us with a preserved image of the nation's history, depicting it at a crucial moment that needed to be documented and processed for it deformities, then moving beyond this stage to offer forward-looking solutions in the form of dialectical binaries represented by the novel "Al-Jaziya and the Dervishes" as detailed in this study.

Keywords: Novel; mind; reality; homeland; agent; past; present.

مقدمة

إذا اعتبرنا أنّ النصّ الأدبي بمثابة حدث ثقافي إبداعي، فالحدث لابد أن يكون له دافع وسبب لحدوثه ويكون له أثر خاص، في شكل خطاب مضمر تكون الثقافة غالبا منطلقا له. وبما أنّ النصّ الأدبي يعيد إنتاج الأنساق الثقافية فإنّ ظهور نص أدبي معين، يبشر بميلاد أنساق ثقافية جديدة أو حديثة تشكل صيرورة وسيرورة ثقافية عبر الأعمال الأدبية وخاصة الأعمال الروائية، التي تكرس بعض الأنساق الثقافية وتنفي بعضها الآخر، أو تخلق حالة جدلية بين هذه الأنساق في استحضار عدد من الأقطاب المتصارعة لاستنطاقها في النص الروائي، ومن ثم الانتصار لأحدها أو تفكيكها وتعطيلها.

1.1- الرواية وأسطرة العالم:

تعتبر الرواية بمثابة مدونة أدبية ثقافية وجمالية تعكس الخصائص والسمات التاريخية والمكامن الاجتماعية للشعوب، بتعبيرها عن الذات والهوية والوطن والوجدان في مظاهره المعقدة والمركزة، حيث لعبت هذه الأخيرة دور الموثق للمشهد الثقافي العربي، والجزائري على الخصوص، فهي بمثابة مرصوفة ثقافية شديدة التعقيد غايتها الأولى هي التعبير عن الذات والهوية الجزائرية في منعرجاتها التاريخية، وحضورها في الذاكرة الفردية والجمعوية والحضارية .

ثم إنه من خصائص الرواية أنها تُقدم رؤية مغايرة وغير مألوفة حول التاريخ المروي والمعاد إنتاجه من طرف الخطاب التاريخي الرسمي، كما أنها تسلط الضوء نحو بعض المكامن الخفية وبعض الدوافع

التي تحرك عجلة التاريخ القومي، فهي تحاول أن تقدم صورة أكثر مصداقية من خلال تيار المعنى الذي يشيده فعل الحكي، كما أنها تحاول أن تنقد التاريخ وتصححه وتستنطقه، وتبوح بالمسكوت عنه، والمحظور تداوله في الواقع ليصبح مباحا في عالم الرواية بهدف التشريح والمواجهة والتصحيح وإعادة تشكيل سيرورة الأحداث والمحطات المفصلية من تاريخ الشعوب، وهذا يعتبر بمثابة تحديد لإحداثيات الحقيقة التي تتحدد في ذهن القارئ بعد تلقي الرواية، زيادة على مساءلتها للمكونات الثقافية الأخرى، ومدى ارتباطها بالسنن الثقافية التي تؤطر كيان المجتمع.

أوضحت النظريات النقدية " أن الرواية ظاهرة معقدة ومركبة، تتطور بتماس مستمر مع منظومة متنوعة من التقاليد الجمالية والأنساق الثقافية في الواقع، ومحكومة بتحول دائم بفعل دينامية العلاقة بين النصوص والمرجعيات، وكل نموذج قار هو نموذج متأزم في طريقه للانهيار، لأنّه لم يعد قادرا على استيعاب مظاهر التجديد الضمنية الداخلية في النسق السردي" (إدريس خضراوي، 2007، ص78)،غير أنّ هذه النظرة الأخيرة فتحت المجال للسرد العربي والجزائري على الخصوص بأن يكون حاضرًا في مشهد الآداب المعاصرة.

ولم تأتي الرواية الجزائرية من فراغ، فهي ذات تقاليد فنية وفكرية عريقة في حضارتها العربية، كما أنّها على صلة بما عرفته أوروبا في العصر الحديث، خصوصا بعد شيوع مصطلح الواقعية، منذ أعلنه بلزاك1850–1799م، في مقدمة مجموعته" الكوميديا البشرية... وهذا لا ينفي وجود بعض المحاولات التراثية العريقة في القصص الحكائي الجزائري القديم كـ (الحمار الذهبي) لـ"ابوليوس"، و(حكاية العشاق بين الحب والاشتياق) لـ"محمد بن إبراهيم 1849م، وهو في الواقع الأمير مصطفى حفيد مصطفى باشا، كان جده دايا على الجزائر" (واسيني الأعرج، 2007، ص 4).

غير أنّ هذه النصوص الأولى لم تكن ناضجة كل النضج كجنس أدبي قائم بذاته، نظرا لافتقار هذه النماذج إلى العناصر الفنية والأجناسية في تطابقها مع خصائص الرواية الحديثة التي تتخذ شكلا خاصا في فعل الحكي يختلف عن شكل السرد العربي القديم.

بعد ذلك عَرفت الجزائر الكتابة الروائية الناضجة بشكل مبكر أثناء مرحلة الاستعمار الفرنسي، وقامت هذه الأخيرة على عدة مرجعيات، واستندت على تراث أدبي أصيل استمدت منه الأطر العامة التي تحدد أصالة هذا الجنس الأدبي في بيئته الجزائرية بالنظر إلى معطيات العصر الجديد وما يحمله من معايير ذوقية وجمالية وحتى شكلية.

إنّ التجارب الروائية الجزائرية "عبر مسيرتها التاريخية استمدت نسخها من تجدد رؤى كتابها المتسائلة عن شروط الرواية وأدواتها ووظيفتها في المجتمع من خلال إعادة النظر في علاقتها بالذّات والمجتمع واللغة والثقافة" (شيبان، 2010، ص1) .

وهذا خصوصا في الفترة ما بعد الاستقلال، لأنّها كانت في وجه مجتمع منهك ومحطم من جراء الاستعمار، وكان لزاما على الكتاب الروائيين أن يعالجوا هذا الوضع ويتناولوه من كل جوانبه عبر أعمال طبعت بصبغة واقعية تعج بمعالجة مشكلات المجتمع الجزائري.

كان واقع المجتمع الجديد موضوع روايات عبد الحميد بن هدوقة، من قبيل والإصلاح الزراعي وترسبات الحرب في رواية "ريح الجنوب"، والتجربة الاشتراكية في رواية "نهاية الأمس" و"بان الصبح"، عبر أسلوب الواقعية الموغلة في وصف تفاصيل الحياة اليومية والشخصيات المستمدة من الواقع المعاش بحيث تبدو عند القارئ كما لو أنها شخصيات حقيقية" (شيبان، 2010، ص9).

بعد نضج التجربة الروائية الواقعية، تحولت الكتابة الجزائرية إلى استعمال الرمز والأسطورة كسمة فنية وجمالية، وهذا راجع لعاملين اثنين: العامل الأول هو تَعرف الكتاب الجزائريين على التراث السردي العربي، وقراءتهم لنصوصه العريقة مثل " ألف ليلة وليلة"، و"كليلة ودمنة "والسير الشعبية والشعر الشعبي والأحجيات والأمثال والحِكم والملاحم والأساطير العربية القديمة والشعر الجاهلي، ومحاولتهم الاتكاء على هذا التراث، فوظف الكُتَّاب هذه النصوص برموزها وأساطيرها في أعمالهم.

أمّا العامل الثاني، فهو محاولة نفاذ هؤلاء الكُتَّاب من مراقبة السلطة التي باتت تصادر حرية الرأي وتجعل لها حدود لا يجب على الكتاب أن يتعدوها في ذلك الوقت، فلجأ هؤلاء الكتاب لاستعمال الأسطورة والرمز والإيحاء من أجل تمرير رسائلهم بسلام.

ورغم تطور الشعوب وإقلاعهم عن الإيمان بالميثي والماورائي والأحداث الخارقة، إلّا أنّه" ما زالت الأساطير باقية في معتقدات كل أمّة. فالأسطورة ليست إلّا تراثا بشريا يحمل تفسيرا خالصا لمعنى أو شعور بالذات، عند شعب من الشعوب. والأساطير تحمل، بلا شك، دلالات إنسانية لم تفقد قيمتها خلال التطور الحضاري" (حمدي، 1986، ص 12) كما أنها دليل وشاهد يوثق الأفق المعرفي الذي كان يتطلع إليه العنصر البشري في تعاطيه مع مظاهر الكون التي كان يعجز عن تفسيرها.

عادة ما يلجأ الكتاب إلى توظيف الأسطورة "بهدف إعادة تفسير العالم الذي يعتقد أنّه فقد التوازن بين مجموعة من الوحدات المتناقضة كالواقع والمثال... فيحاول بذلك أن يستفيد من الأسطورة لخلق النموذج المراد." (بوسماحة، 1991، ص12) وفي بعض الأحيان يكون توظيف الأسطورة بدافع الهروب من الواقع الذي أصبح يثقل كواهلهم، وللتخفيف من حدته ووطأته في نفوس الكتاب.

من بين الروائيين الأوائل الذين اهتموا بهذا الجانب (عبد الحميد بن هدوقة) في روايته" الجازية والدراويش"1983،" وهي عمل فني يجمع بين الروايات السياسية المعاصرة والأسطورة الشعبية القديمة، بين السرد والقصيدة النثرية الرمزية، وبين الواقع والأسطورة، هذه الرواية التي تكاد تختلف عن كل ما وضعه بن هدوقه من قبل، سواء في الشكل أو المضمون" (بعلي، 2015، ص 188).

2.1- جدلية الماضي والحاضر في رواية الجازية والدراويش:

كتب عبد الحميد بن هدوقة روايته سنة 1981 في زمن تبنت فيه الجزائر النظام الاشتراكي الذي ساد على نمط التفكير والتوجه السياسي والإيديولوجي في تلك الحقبة، وهذا ما نجده جليا في رواية الجازية والدراويش، يحاول الكاتب فيها أن يمثل مختلف أطياف المجتمع وكيفية تعاملهم مع هذا النظام وتطورهم معه، تبدأ أحداث الرواية التي يتواتر فيها الزمن وفق عبارتين: قبل الميلاد وبعد الميلاد، وبين هذا وذاك نجد تواترا داخليا بين الزمن، زمن أول وزمن ثاني وهكذا دواليك.

تتحدث الرواية عن سبعة طلاب جامعيين، من بينهم شخصية الأحمر الاشتراكي الذي كان يعارض بناء السد بالقرية، أو الدشرة التي تعتبر مسرحا لجل أحداث الرواية، وكذا شخصية الشامبيط (رتبة أمنية) الأناني الذي كان من أشد المتحمسين لبناء مشروع السد بالقرية بعد ترحيل الأهالي منها، وفي خضم

أحداث الرواية يتعرض الأحمر للقتل، ويُتهم الطيب العاشق الولهان لجازية بقتله زورا، ويدخل السجن بفعل افتراء شخصية الشامبيط الذي يُقتل هو الآخر في آخر الرواية، أما الشخصية الرئيسية فهي الجازية الفتاة الجبلية خارقة الجمال ابنة المجاهد الذي قَتل الآلاف من الفرنسيين ببندقيته في ثورة التحرير الجزائرية.

جازية هذه الفتاة الخارقة في الجمال والفطنة والدهاء والشموخ ابنة المجاهد الذي ترك لها إرث الجهاد، لم تكن شخصية عادية، فقد كانت مزودة بقوى روحانية خارقة ذات بعد صوفي تنبئي، مما جعل رجال القرية يتهافتون على خطبتها والتقدم لها، ولكنها كانت ترفض الزواج، كما تعرض لنا الرواية شخصيات أخرى من بينها المهاجر عايد، الذي عاد من الهجرة رغبة في الزواج من الجازية، وشخصية ابن الشامبيط الذي كان يدرس في أمريكا ومحاولة والده أن يزوجه من الجازية، ثم شخصية الدراويش والرقص في الحضرة أو الوعدة التي كانت من بين العادات المترسخة في المجتمع الجزائري في ذلك الزمن، وتتضمن هذه الحضرة حدث مراقصة الأحمر للجازية ومحاولته إماطة اللثام عن وجهها.

إنّ جازية والدروايش "عمل فني شعبي حقيقي، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وهو يتضمن مشاهد ساطعة ورائعة تنقل روح القرية الجزائرية نفسها بتقاليدها وطقوسها؛ الزردة ورقصات الدراويش بالمناجل المتوهجة، وتحمل الرواية أيضا الكثير من الحكم والأمثال والنكت المعبرة، التي يعقبها أحيانا هجاء هادف قادح، وتبرز الطبيعة الجبلية المتوحشة، كخلفية للأحداث العاصفة، وكأنّها شخصية قائمة بذاتها في العمل الفني" (ستيبانوف، 1994، ص 26).

لقد تعمد الكاتب أن يختار اسم شخصية جازية، لما لهذا الاسم من أبعاد تراثية وحضارية في ارتباطها مع الأرض والتاريخ في المغرب العربي، حيث يقول بن هدوقة في روايته: "إنّ هذه المرأة الإمبراطورية، الغريبة والمعقدة تجسد الجزائر، لقد اختار المؤلف "الجازية" اسم بطلة السيرة الهلالية، من أجل أن يظلّ في نطاق ثقافة عربية إسلامية في محيط أسطورة الجازية (المركزية)، يستدعي المؤلف أسطورة الدراويش والآخرين من أجل تفسير بعض المواقف المتخيلة" (أوهادي، 1997، 43).

بحيث لا يخرج عن الموضوع الأصلي وهو الجزائر فهو يقدمها برموز أسطورية تعبر عن التاريخ والعادات والتقاليد والوجود الملغز لهذه الأرض، بتعاقب الحضارات عليها، وكانت القرية والجبال مسرحا ملائما لهذا الطرح، الذي يجسد فكرة الغموض والعراقة والمجال الذي ينبض بالحياة والخطورة والرمز والأساطير والعفوية في الوقت نفسه.

1.2.1 . جدلية العقل والخرافة:

يتحرك منطق السرد بتحرك بطلته جازية ابنة المجاهد بطل الثورة التحريرية في قرية من القرى التي تسكن أعالي الجبال الجزائرية، كما يخيم الجو الصوفي على الرواية، من خلال الممارسات التي تقوم بها الشخصيات، وكذا دلالة العنوان في كلمة "الدراويش" والتي تعني في المعتقد الجزائري أولياء الله الصالحين؛ يبدأ السارد بوصف البطلة في الرواية قائلا:" جازية أخرجت الدشرة من سبات القرون، أعطتها حياة حافلة خصبة بدل حياتها الميتة. تضحك صباحا فتنشر ضحكتها أغاني عذبة في العشايا، تغنيها الفتيات والرعاة، ويعلم الناس أن الجازية ضحكت إذا سكتت هب الدراويش لإقامة زردة، استرضاء لها واستعطافا أشيعت حولها ألف خرافة، تفوق ما شاع من خرافات حول الجازية الهلالية" (هدوقة، 1983، 25).

ويظهر في هذا المشهد أن علاقة الجازية بالدراويش هي علاقة خرافية تشبه علاقة العابد بالمعبود، حيث يشتغل نسق اللاوعي واللاعقل في الأفعال الخرافية والطقوس السحرية التي كان الدراويش يمارسونها لاسترضاء الجازية، وأصبح ظهورها للعلن من بين الأمنيات وضحكاتها من بين العطاءات الربانية للدراويش الذين تأسرهم الجازية بجمالها الساحر وقداستها اللامتناهية، بينما تمثل الجازية هنا صورتين متناقضتين، جازية الجزائر بكل خيراتها بريحها وامطارها ورعودها وشمسها وصحوها وكان في معتقد الدرويش البسيط أن تلك الطقوس تستجدي رحمة الخالق ليدر عليهم ماء من السماء يروي عطشهم وعطش الأرض التي تزهر لهم بالخيرات والغلال...، والصورة الثانية التي تجسدها الجازية هي صورة تلك المرأة الصالحة أو الفتاة اليتيمة ابنة المجاهد التي يتمثل في ذاتها صوت الحكمة والمبادئ القارة الثابتة.

ويستحضر الكاتب شخصية سقراط كمعادل موضوعي يمثل من خلاله صوت الحكمة والعدالة في قول السارد:" ذلك الشيخ الإلهي الذكاء .. سقراط، ألم توقعه في شباكها مجموعة دنيئة حاقدة متآمرة وقتلته بتهمة إفساد الشباب... وأخضعوه عن طريق إعطائه كأس السم الزعاف" (هدوقة، 1983، ص227) وهذا التوظيف النسقي يحيلنا بالضرورة إلى فكرة اغتيال العقل ومخالفة المنطق في بعض الممارسات التي تصورها الرواية في شخصيات الدراويش والشامبيط الذين يمثلون صوت اللا عقل أو الجانب الفاسد من المجتمع.

في المقابل نجد أن شخصية الأحمر تمثل صوت العقل والحكمة لأنه رفض مشروع بناء السد في مكان غير مناسب جيولوجيا وهو القرية وزيادة على ذلك لم يشأ أن يُرحّل المواطن البسيط من أرضه التي ملكها أجداده، غير أن الأحمر يُقتل هو الآخر وتُلفق التهمة لشخصية "الطيب" المحب الساذج، وهذه الحركة السردية التي تؤكد على اغتيال العقل باسم الأخلاق أو اغتيال العقل والأخلاق معا.

2.2.1. جدلية الوطني الثائر والعميل الخائن:

نجد أن الرواية تقدم مجموعة من الشخصيات تتقابل من حيث الوظيفة النسقية السردية لتنجز مشروع الحكاية الذي يقدم شخصية المجاهد المخلص لوطنه بتضحياته الجسيمة من أجل انتزاع الحرية من المستعمر الفرنسي وتتمثل هذه الشخصية في أب جازية، الذي حارب المستعمر واختفى في أحد المعارك، مورثا لابنته حبه للوطن والكفاح من أجله، وهذا التوظيف من الكاتب يعتبر بمثابة ترشيح نسق ثقافي هو الإخلاص للوطن والتضحية من أجله الذي صنع جزائر اليوم يمثلها الكاتب في شخصية جازية.

وإن رابط الأبوة بين الجازية والمجاهد ما هو إلا نسق ثقافي يعبر عن امتداد نسق التضحية في الماضي(الأب) بجزائر اليوم (البنت/ الجازية). في المقابل نجد أن الذات الاستعمارية تتجسد في الحركى /الخائن ممن عاصروا فترة الاستعمار وما بعده، ثم كل الشخصيات التي تتصف بصفة شخصية الحركي ولم يعاصروا الاستعمار وجيل ما بعد الاستعمار، وتتمثل في كل مواطن فاسد يفضل مصلحته الشخصية على مصلحة وطنه، لنكون أمام مركب جدلي يتجسد في شخصية الرجل الوطني والرجل العميل.

تمثل الجازية وأبوها في الرواية الجانب الوطني الذي يتصارع بطريقة أو بأخرى مع الجانب الثاني الخائن لوطنه العميل الذي باع مبادئه من أجل مصالحه الشخصية، ويتمثل هذا الجانب في شخصية (الشانبيط/ الحَرْكي) المُرابي الذي حاول أن يبني السد في مكان لا يصلح لذلك من أجل ترحيل سكان القرية، وحاول أن يزوج ابنه للجازية من أجل أن يغسل عاره المرافق له كظله، ويفسخ عنه لقب الشامبيط البَيوع الذي جنده المستعمر ليقتل بني جلدته، حيث سعى ابن الشامبيط الذي كان يدرس في أمريكا إلى الاقتران بالجازية ابنة المجاهد الوطني، يقول الراوي في هذا الصدد:" كان ابن الشانبيط يريد الزواج منها ليتوج اسمه بهالة النور التي صنعتها بندقية والدها ودماؤه... يريد مسح عار الشنبطة عن جبينه ولكنها رفضت وإن أرغمت سترمي بنفسها من الهاوية " (هدوقة، 1983، ص 26).

3.2.1. جدلية الماضي والحاضر:

جسد الكاتب جدلية الحاضر والماضي بإسقاط أساطير الماضي على الحاضر في واقع الجزائر من خلال أحداث الشخصيات، حيث ورد الحديث عن أسطورة نائلة وإساف على لسان إحدى الشخصيات في القسم الخامس من الرواية في قول السارد "...أرى زردة ضخمة حول زمزم، دراويشها يهتفون بنايلة وإساف العشيقين اللذين كتب عليهما المسخ، ثم القداسة .وتبدو لي نايلة في صورة الجازية، وإساف في صورة الأحمر"(هدوقة، 1983، ص 121).

يحاول الكاتب أن يسقط هذه الأسطورة على الجازية والأحمر ليسلط الضوء على عادات المجتمع الاشتراكي الذي ينبذ أي محاولة من المحب للتواصل مع حبيبته ولو كان الحب عذريا بينهما، وهي نوع من المصادرة الثقافية ترتبط بأنساق يحاول المجتمع الجزائري أن ينبذها كانت قد ترسبت في وعيه الثقافي الجمعي من تجربته مع الاستعمار الفرنسي، وما خالطها من مظاهر انفتاحية غير أخلاقية تتنافى مع عادات وتقاليد المجتمع الجزائري في القديم.

يحاول الكاتب أن يعقد الصلة بين المجتمع الجزائري والمجتمع العربي القديم باستحضار لأسطورة نائلة وإساف ليؤكد على دوام تلك النظرة الأخلاقية اتجاه أي علاقة تجمع بين الرجل والمرأة خارج إطار الدين والعادات والتقاليد ورابطة الزواج، هذا ما يتساوق مع استمرار المد الثقافي العربي القديم إلى عصر

الكاتب عبر انتقال أنساقه الثقافية. وحتى استعمال الأسطورة من طرف الكاتب لم يكن اعتباطيا، لأن الكاتب يتوجه بنصه لجمهور من القراء أَلِفَ تلقي الأساطير وتأليفها وكيفية التعامل معها في حياتهم اليومية حتى أصبحت تمثل جزءًا من مخيالهم الثقافي الميثولوجي. كما تصبح حالة الحب العذري بين الجازية والأحمر ماهي إلى تجسيد لحالة الإخلاص والتضحية والحب الفطري بين المواطن ووطنه، بين الجزائر كوطن والأحمر كمواطن حر وشريف يحتوي وطنه ووطنه يحتويه.

يستعمل الكاتب أساطير اليونان والرومان، ويستحضر بعضًا من آلهتها على لسان شخصياته، وهي إشارة ضمنية إلى وجود الحضارة الرومانية في شمال أفريقيا وعلاقتها بالأرض الجزائرية، وذلك في قول السارد على لسان إحدى الشخصيات وهي تتضرع إلى أقارب الآلهة جوبيتر" يا أخت جوبيتر العظيم وزوجته سواء أكنت تقيمين في معبد ساموس – وهو الوحيد الذي يفخر بولادتك، وبنهنهتك الأولى وبرضاعك فيه –بين الأروقة القديمة المقدسة أم كنت تجلسين فوق عرشك السعيد في أعالي قرطاجنة السامقة ...أنت التي يعبدك الشرق كله بصفتك زيغيا (حارسة الزواج" (هدوقة، 1983، ص 132).

يوظف عبد الحميد بن هدوقة كذلك أسطورة الحمار الذهبي على لسان الشاعر الذي كان يتقاسم الزنزانة في السجن مع شخصية الطيب فيقول له:

- هل قرأت "حمار الذهب" لأبوليوس؟

- لا أعرفه.

- أبوليوس أو "آبلى" كاتب جزائري قديم في عهد الرومان، كتب رواية سماها "حمار الذهب" هي هذه في صفحاتها الأولى يخاطب القارئ هكذا: –أخذ الكتاب وبدأ يقرأ ...سوف تبتهج عندما ترى كائنات بشرية تغير طبائعها وخلقاتها لتأخذ أشكالا أخرى..." (هدوقة، 1983، ص 195). كتغيير الفرد لانتمائه وإخلاصه لوطنه إلى إخلاصه لعدوه وعدو بني جلدته في محاولة منه لترميم ذلك النقص أو لإشباع ذلك الولع، ولع السيد بعبده.

4 . خاتمة:

هكذا استعمال الكاتب عنصر الأسطورة في حالة جدلية ثنائية تقابلية تَحاور فيها الماضي مع الحاضر ليشير إلى عراقة الشعب الجزائري وامتداده عبر التاريخ الثقافي لشمال أفريقيا، وكذا تأكيده على الوجود والحضور الإبداعي والمعرفي والفلسفي الحضاري لهذه الأمة من تاريخ الحضارات القديمة، مع ما تحمله الأسطورة من معاني مسقطة على واقع الجزائر في تلك الفترة. وكان الكاتب بن هدوقة يُرافع في وجه التيار المعادي لكل معاني الوطنية والوطنيين الذين كانوا يحاربون مختلف مظاهر الإصلاح والذين كانوا يزيفون تاريخ الأمة الجزائرية مع ما يزرعونه من مركبات النقص والجهل المقنن في الذات الجزائرية في مرحلة حساسة من تاريخ الجزائر.

5 .قائمة المراجع:

1. إدريس خضراوي، الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، دار توبقال، المغرب، ط 1، 2007م.
2. حفناوي بعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري آفاق التجديد ومتاهات التجريب، دار اليازوردي، عمان، ط 1، 2015م.
3. ستيبانوف، عبد الحميد بن هدوقة الكاتب الكلاسيكي الحي، مجلة التبيين، منشورات الجاحظية، العدد 8، 1994.
4. عبد الحميد بن هدوقة، رواية الجازية والدراويش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
5. عبد الحميد بوسماحة، توظيف التراث في روايات عبد الحميد بن هدوقة. رسالة ماجيستير. معهد اللغة العربية. جامعة الجزائر2، 1991.
6. عمر أوهادي، الكتابة الروائية عند عبد الحميد بن هدوقة في الجازية والدراويش، ضمن أشغال الملتقى الوطني الأول، تر: عبد الحميد بورايو، 1997م.
7. فهيمة زيدي شيبان، التجريب والنص الروائي البنية التجريبية في رواية الحوات والقصر للطاهر وطار، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع 6، 2010م.

8. محمد عصمت حمدي، الكاتب العربي والأسطورة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، 1968م.
9. واسيني الأعرج، مجمع النصوص الغائبة أنطولوجيا الرواية الجزائرية التأسيسية (محنة التأسيس)، دار الفضاء الحر، الجزائر، 2007م.